

التعليق على كتاب منهج السالكين لتوضيح الفقه في الدين كتاب الصباح

للعامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله



لفضيلة الشيخ:

أبو عمر أسامة بن عطايا العتيبي

- حفظه الله -

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾¹
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾²
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾³

أما بعد :

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فأبدأ معكم هذه الليلة إن شاء الله تعالى بإتمام التعليق على **كتاب منهج السالكين** وتوضيح **الفقه في الدين** للشيخ العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية في كتاب الصيام أو في كتاب (الصوم) .
قال رحمه الله تعالى (**كِتَابُ الصِّيَامِ**) :

أي هذا كتابٌ أذكر فيه ما يتعلق بالصيام والصيام؛ مصدر من فعل صام، يصوم، صياماً ..

¹ - آل عمران : 102

² - النساء : 1

³ - الأحزاب : (70 - 71)

■ الصيام هو : الإمساك لغةً قال الله -جل وعلا- عن مريم ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا

فَلَنْ أَكَلَّمُ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾⁴ ، أي إمساكاً عن الكلام، فهذا الصوم بمعنى الإمساك .

■ وأما في الشرع : فهو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب

الشمس تقرباً إلى الله عز وجل أو بنية تقرباً إلى الله عز وجل .

والمفطرات يأتي ذكرها إن شاء الله، (ومن طلوع الفجر الصادق) لوجود فجرين؛ فجر صادق وفجر كاذب .

قيد الفجر بالفجر الصادق، " إلى غروب الشمس " وهذا معروف والله جل وعلا قال في

كتابه الكريم ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ

الْفَجْرِ﴾⁵ وهذا إنما يكون في الفجر الصادق، ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾⁶ فهذه

النهاية والليل يبدأ بغروب الشمس . إذن هذا هو تعريف الصوم .

وتعبداً أو بنية لأن النية شرط من شروط الصيام، تُفرّق بين صيام من قصد الصيام وبين

النائم أو المغمى عليه الذي وافق هذا الوقت وهو نائم بما أنه لم ينو؛ لا صيام له .

وتقريباً حتى يُخرج من أمسك للتداوي لا للتعبد، النية لا بد منها هنا وقصد التقرب إلى الله

عز وجل هو في الحقيقة أصله النية يعني نوى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، الصيام

المشروع .

والصوم : هو الركن الرابع أو الخامس من أركان الإسلام والأشهر أنه الرابع ويتكرر في

كل سنة، فالصوم ركن من أركان الإسلام العظام ومن دعائمه، فُرض في السنة الثانية من

هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة والمراد بفرض الصيام إنما هو صيام شهر رمضان أما التعبد

⁴ - مريم : 26

⁵ - البقرة : 187

⁶ - البقرة : 187

بالصوم فكان قبل ذلك، قيل كان والرسول ﷺ في مكة أو قيل في السنة الأولى من الهجرة حيث أمر الناس بصوم يوم عاشوراء ثم بعد ذلك في السنة الثانية فرض شهر رمضان .
ففرض الصيام في شهر رمضان كان في السنة الثانية من الهجرة النبوية والصيام فرض أولاً قبل حلول شهر رمضان، قالت عائشة رضي الله عنها: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ) وهذا الحديث خرج به البخاري في صحيحه .

❏ والصوم مر بمراحل :

- ◆ الأولى من مراحلها : هو الأمر بصيام يوم عاشوراء قبل حلول شهر رمضان لأن عاشوراء في شهر الله المحرم .
- ◆ ثم المرحلة الثانية : أن الله عز وجل أمر بالصيام مطلقاً مع التخيير بين الصيام والفدية قال تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ ﴾⁷ وهذا في الآية الثانية بعد آية فرض الصوم، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾⁸ ، هذا تفضيل للصوم عن الإطعام .
- ◆ ثم المرحلة الثالثة : هي مرحلة فرض شهر رمضان والإلزام به في قوله جل وعلا ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾⁹ هذا الإلزام بصيام شهر رمضان ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضاً

⁷ - البقرة : 187

⁸ - البقرة : (183 - 184)

⁹ - البقرة : 185

أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ¹⁰

والصيام له فضائل كثيرة، أما صوم شهر رمضان فهذا فضائله خاصة وأكثر من فضائل
الصيام بشكل عام؛ فمن فضائل الصيام مطلقاً قوله ﷺ : (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بَاعَدَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) وفي رواية : (زَحَزَحَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ بِذَلِكَ
الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) وفي رواية : (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ
خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) خندقاً، يعني مسيرته خمسمائة عام كما بين السماء
والأرض وفي رواية : (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ
رَكَضَ الْفَرَسِ الْحَوَادِ الْمُضْمَرِ) وفي رواية : (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعُدَتْ مِنْهُ النَّارُ
مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ) وهذه الأحاديث كلها ذكرها شيخنا الألباني رحمه الله في صحيح
الترغيب والترهيب .

فهذا من فضائل الصوم أنك إذا صمت يوماً تقصد به وجه الله كان هذا جزائك؛ أن الله
عز وجل يحرم النار عليك وأن يجعل بينك وبين النار كما بين السماء والأرض لذلك قال
الرسول ﷺ : (الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ) وفي رواية : (الصَّوْمُ جُنَّةٌ يَسْتَحِنُّ بِهَا الْعَبْدُ
مِنَ النَّارِ) ، الجنة يعني الوقاية ومنه المحن، المحن الذي يمسكه الفارس مثل الصحن الكبير
المدور، يتقي به ضربات العدو، فكذلك الصوم جنة من عذاب الله، وقاية من عذاب الله
سبب لدخول الجنة والبعد عن نار جهنم .

فهذا أيضاً من فضائل الصيام والرسول ﷺ سأل سائل فقال له : (دلي على عمل أدخل
به الجنة) فمذا قال له الرسول ﷺ ؟ قال : (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ) يعني لا شيء
يعدله لكثرة ثوابه، لكثرة ثواب الصيام عند الله عز وجل، ما قال (عليك بصوم رمضان

فقط) ! بل **(بالصوم)** بعبادة الصوم، فأجر الصوم عند الله عز وجل عظيم لما له من الفوائد الكبيرة على الإنسان التي تجعل من هذا الإنسان **(صافي القلب ، قريب التقوى ، مستجيباً للخير)** الصوم يفيد العبد من حيث تنقية الجسد من السموم، تنقية الجسد من الفضلات وتهئية الجسد لأن يكون قابلاً للتقوى قابلاً للسمع، فالصوم له فوائد الصحية لذلك كان الصوم من الأدوية المشهورة عند أطباء العالم .

ومن عجائب هذا الحديث الذي قال فيه الرسول ﷺ لأبي أمامة **(عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ)** ؛ أنه كرر هذا السؤال على رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهو يكرر عليه الجواب نفسه قال **(قلت : يا رسول الله مُرني بعمل ، قال : عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ ، قلت : يا رسول الله مُرني بعمل ، قال : عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ ، قلت : يا رسول الله مُرني بعمل ، قال : عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ)** يعني ثلاث مرات يكرر له الرسول ﷺ هذه النصيحة **(عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ)** ، آخر مرة قال له **(عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ)** .

لذلك الإنسان يحرص على هذه العبادة والرسول ﷺ كان يُكثر من عبادة الصوم والإسلام حرص أشد الحرص على أن يكون عند الناس من الترغيب ومن الحث على هذه العبادة ما يجعلهم يكثر من فعلها فمن ذلك فرض رب العالمين صيام هذا الشهر الكريم وهو **(شهر رمضان المبارك)** وما ورد فيه من الفضائل التي ذكر بعضها الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في آخر كتاب الصوم فنؤجل الأحاديث في فضل شهر رمضان المبارك إلى آخر هذا الكتاب وهو كتاب ليس بالطويل الذي هو كتاب الصيام من كتاب منهج السالكين .

كذلك تفضيل شهر شعبان كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه لما سأله عن كثرة الصيام لرسول ﷺ عن شهر شعبان حتى يُخيل أو يظن الظان أنه صام الشهر كاملاً فقال **(ذاك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان تُرفع فيه أعمال العباد لرب العالمين وأنا**

أحب أن يُرفع عملي وأنا صائم) كذلك فإن الرسول ﷺ حث العباد على صيام يوم الاثنين والخميس فكان يصوم الاثنين والخميس ويحث على صيامهما وقال (هُمَا يَوْمَانِ تُرْفَعُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ وَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) وهو حديث حسن صحيح .

وكذلك حث الرسول ﷺ على صيام ثلاثة أيام من كل شهر ليست هي البيض وحدها بل؛ ثلاثة أيام من كل شهر ليصوم الإنسان السنة كاملة لأن؛ ثلاثة أيام من كل شهر، الحسنة بعشر أمثالها وإذا كان في كل شهر ثلاثة أيام والحسنة بعشر أمثالها، كأنه يصوم ثلاثين يوماً في الشهر فكأنه يصوم السنة كلها .

وشهر رمضان تعرفون أنه يُصام كاملاً فكأنه صام السنة كاملة إذا صام الأيام البيض بالإضافة إلى شهر رمضان لأنه فرض معروف وهذا معلوم .

والنبي ﷺ وإن كان حث على صيام ثلاثة أيام من كل شهر إلا أنه خصّ الأيام البيض بمزيد تخصيص وهو أن الرسول ﷺ قال : (إن كنت صائماً فصم الأيام البيض ثلاث عشر وأربع عشر وخمسة عشر) يعني الرسول ﷺ خصّ هذه الأيام بمزيد فضل وهي تقع وسط الشهر حيث يكون القمر بديراً وهذا فيه فائدة للإنسان في الصيام يكون اعتدال الدم في الجسد، يعني أريح حتى للإنسان من ناحية طبية صيام ثلاثة أيام من وسط الشهر وهي الأيام البيض، وهذا الحديث ورد من حديث أبي هريرة قال : (جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ بأرنب قد شواها وجاء معها بأدمها فوضعها بين يديه فأمسك رسول الله ﷺ فلم يأكل و أمسك أصحابه فلم يأكلوا وأمسك الأعرابي ، فقال رسول الله ﷺ : ما يمنعك أن تأكل ؟ قال الرجل : إني أصوم ثلاثة أيام من الشهر ، قال الرسول ﷺ : إن كنت صائماً فصم الأيام الغر) يعني الأيام البيض وهذا الحديث؛ حديث صحيح .

كذلك صيام ستة من شوال وسيأتي فضلها أيضاً، كذلك فضل الصيام صيام عاشوراء وصيام يوم عرفة وصيام التسعة الأيام الأولى من ذي الحجة وتفضيل صيام داوود أنه أفضل الصيام .

كل هذه الأحداث والتي فيها الحث على الصيام دليل على فضل هذا الصوم ويكفي فيه قول الله عز وجل في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) هذا من أعظم الأحاديث في فضائل الصيام وقد خص الله عز وجل باب من أبواب الجنة باسم باب الريان لا يدخله إلا الصائمون، فهذه عبادة جليلة ينبغي علينا أن نقدرها قدرها والإسلام اهتم بها حتى جعلها من ضمن الكفارات يعني من جليل اهتمام الشريعة بالصيام أن جعل في الكفارات مثلاً كفارة قتل النفس، إذا قتل نفساً خطأ فهو عليه تحرير رقبة فإذا ما كان عند تحرير رقبة فصيام شهرين متتابعين، كذلك الذي يواقع امرأته في نهار رمضان أو الذي ظاهر من امرأته فإن عليه عتق رقبة فإن كان لا يملك فيصوم شهرين متتابعين فإن كان لا يستطيع فإطعام ستين مسكيناً .

كذلك في كفارة من لم يجد الهدي فيصوم عشرة أيام فصيام عشرة أيام ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ لَكُمْ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾¹¹ ، كذلك من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام مثل الحلق، قص الرأس يعني الأخذ من الشعر ونحو ذلك فإنه يُخير بين أن يذبح شاة أو أن يصوم ثلاثة أيام أو أن يطعم ستة مساكين .

كذلك من حلف وحنث في يمينه فإنه يكفر عنها بإطعام عشرة مساكين ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾¹² إذا لم يستطع أحد تلك الأمور الثلاثة السابقة، إذن الصيام من العبادات والقرب الهامة التي حث الشرع عليها .

¹¹ - البقرة : 196

¹² - المائدة : 89

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله بعد قوله (كِتَابُ الصِّيَامِ)؛

(الْأَصْلُ فِيهِ :) يعني في شرعيته وفرضه (قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ¹³) : وهذه الآية، آية مدنية من سورة البقرة

نزلت في المدينة ومعظم التشريعات العملية نزلت في المدينة، مكة كان التركيز أكثر على

التوحيد والتوحيد مازال التركيز عليه حتى مات رسول الله ﷺ وهو يحث الناس على

التوحيد، فالتوحيد لا يُترك الحث عليه مدى الحياة فالرسول ﷺ منذ أن بعثه الله إلى أن

توفاه وهو يدعو للتوحيد .

فليست الدعوة إلى التوحيد في خمس دقائق أو مرحلة زمنية تنتهي لا! السلفي يدعو إلى

التوحيد إلى أن يموت مايقول خلاص عرفنا الناس التوحيد لا! فلا بد من التركيز على

التوحيد لأن الشيطان إذا فتر الناس عن الدعوة للتوحيد وقلت الدعوة إلى التوحيد؛ فإن

الشيطان ينشط ويشكك الناس في التوحيد وهذا حال الناس إذا فتر الناس عن الدعوة تكثر

فيهم البدع ويظهر فيهم الشرك ومن تأمل حال الناس على مر العصور وجد ذلك جلياً،

فلا بد من الاستمرار بالدعوة إلى التوحيد، فما أسرع رجوع كثير من الناس إلى الشر

بسبب تزيين الشيطان له، فلذلك نحن ندعوا إلى التوحيد دائماً إلى أن نموت، التوحيد هو

الأساس أن نصحح عقيدتنا، نصحح عقيدة الناس، هذا أمر عظيم ورأس مال المسلم وأسس

الدين وأساسه فلا بد من التوحيد، إفراد الله بالعبادة وخاصة هذه عبادة الصوم، يتعبد لله

عز وجل يتقرب إلى الله ليتقي عذاب الله يرجو بذلك الصوم؛ رحمة الله ويفعل العبادة

ويتلذذ بها لأنها حب في الله عز وجل، حب لله يعني تتلذذ بهذه العبادة لأنك تعبد الله لأنك

تمضي في محاب الله لأنك ترجو أن يحبك الله ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ ﴾ ¹⁴ .

¹³ - البقرة : 183

¹⁴ - آل عمران : 31

نحن نريد أن يحبنا الله، نريد أن يكرمنا الله، نريد أن ينعم علينا الله، نريد أن يسعدنا الله، هو سبحانه وتعالى يعطينا مع تقصيرنا وضعفنا وإعراض كثير من الناس عن الله وهو يعطينا فما بالكم إذا أقبلنا عليه وتقربنا إليه وأنخنا ببابه وبذلنا الأسباب الموصلة إلى رضوانه هل يردنا الله ؟

بل يحبنا كما قال ﷺ : (يقول الله تعالى: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ، فلنتقرب إلى الله عز وجل حبا في الله عز وجل ورجاءً أن يحبنا الله سبحانه وتعالى وأن يرضى عنا وأن يتقبل منا وأن يكتبنا في الصالحين وأن يسعدنا وأن يجازينا برؤيته يوم القيامة .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾¹⁵ إذن الأصل في الصوم؛ قول الله جل وعلا في سورة البقرة وهي سورة مدنية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾¹⁶ فخطب العباد بوصف الإيمان، طبعاً هناك عدة فوائد لأجل استحلال هذه الآية بقوله جل وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ما قال يا أيها الناس ! ما قال يا أيها المسلمون ! قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هناك فوائد عديدة منها :

إيقاظ الإيمان في النفس ورفع من هذا الإيمان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه (إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾؛ فأرع لها سمعك، فإما خيراً تؤمر به

¹⁵ - الرعد : 28
¹⁶ - البقرة : 183

وإما شرا تنهى عنه) فالإنسان إذا سمع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالمؤمن مباشرة ينتبه، هذا تنبيه .

كذلك فإن رب العزة والجلال سيذكر في الآية أمراً غيبياً يحتاج إلى الإيمان ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾¹⁷ هذا أمر غيبي يخبرنا الله به عن أمم سابقة فيحتاج إلى إيمان، إلى اطمئنان إلى خبر الله وانقياد لأمره، هذا الإيمان الذي عندنا هو الذي يجعلنا نصدق بالأخبار؛ هذا خبر ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ .

كذلك خطاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأن المؤمن بالله يستمع لكلام الله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ يعني فرض عليكم الصيام، فيخاطب المؤمنين الذين آمنوا به رباً وآمنوا به إلهاً وآمنوا به معبوداً وآمنوا بمحمد ﷺ رسولا ونبياً فيخاطبهم باسم الإيمان ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ . المؤمن مباشرة يقول : (آمنت بالله)، صدق خلاص، بما أنه مؤمن بالله فكل شيء عن الله يسلم به لأنه مؤمن أما المسلم فهذا قد يكون مُنقاد بقوة، يعني أسلم لمصلحة معينة ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾¹⁸ فلما يأتي إلى خطاب الإيمان هذا يحتاج إلى أناس أهل الإيمان والتصديق الصحيح الذي يكون في الباطن والظاهر فمباشرة إذا وُجد هذا الإيمان في الباطن و وجد التشريع من الله عز وجل الأمر بهذه العبادة في الظاهر فعمل بها الإنسان دل على صدق باطنه، فذلك نبه المؤمنين على أن هذه العبادة لا بد لإيمانكم ومن الأمور التي تحب عليكم في إيمانكم؛ الصيام . هذا خطاب لمؤمنين وهذا دليل على أن العمل من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ كتب يعني فرض .

والصيام يعني عبادة الصوم التي بينها رب العزة والجلال في الآية التي بعدها؛ مدة الإمساك وهذه الآية بينها الرسول ﷺ في سنته كيفية الصوم، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾

¹⁷ - البقرة : 183

¹⁸ - الحجرات: 14

يعني أن هذا الصوم مفروض على الأمم السابقة قبلكم فليست أول أمة تُؤمر بالصيام فهذا فيه تسلية للعباد يعني أنهم ليسوا مأمورين بالعبادة لم تكن فيمن كان قبلهم وليس هذا من المشقة ولا من الشدة عليهم، بل هذا من الرفق بهم وهذا لمصلحتهم وهذا من الأمر الذي اشتركت فيه جميع الأمم ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ فجميع الأمم فرض الله عليهم الصيام، فهذا فيه استئناس للناس أن يعرفوا أن هذه العبادة؛ عبادة على جميع الأمم فتتشط نفوسهم هذا أيضا فيه تنشيط للنفس .

وكذلك في بيان أهمية هذه العبادة يعني هذه العبادة نظراً لأهميتها لم تقتصر الأهمية على فرضها عليكم أنتم فقط بل؛ على جميع الأمم فدل على أهمية هذه العبادة حتى يقدروها قدرها، ثم مما يزيد المؤمنين إيماناً ومما يزيدهم تمسكاً بهذه العبادة واهتماماً بها قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ يعني أن هذا سبب من أسباب التقوى وجالب للتقوى وتحتاج إلى تقوى فالتقوى هو الذي يتقرب إلى الله بهذا الصوم بخلاف الشقي البعيد عن الرحمة والبعيد عن التقوى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فيه ترغيب في هذه العبادة أنها من فعل الأتقياء وأيضا سبب من أسباب التقوى فهي جالبة للتقوى وهي من فعل أهل التقوى .

والصوم مفترض على هذه الأمة بهذه الآية بالكتاب والسنة والإجماع، بالكتاب؛ هذه الآية وما يأتي بعدها من فرض شهر رمضان، هذه الآية على وجوب الصوم عموماً أما شهر رمضان ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾¹⁹ هذه الآية نص على فرضية شهر رمضان هذه من أدلة ماذا؟ وجوب الصوم من القرآن الكريم و وجوب على الخصوص صيام شهر رمضان.

وأما من السنة؛ فأحاديث عديدة منها حديث جبريل الطويل الذي فيه سؤال جبريل لرسول الله ﷺ عن الإسلام، قال (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

¹⁹ - البقرة: 185

وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت) فذكر من الإسلام صوم رمضان .

وكذلك في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهذا الحديث في الصحيحين (بُنِيَ الإسلام على خمس) ما هي هذه الخمس التي بُنِيَ عليها الإسلام ؟ (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) ففي هذا الحديث جاء ذكر في بعض الروايات الصيام قبل الحج وفي روايات الحج قبل الصيام وعلى كل فصوم رمضان قبل الحج في منزلته في الإسلام ولكن في هذه الرواية ورد في بعض الروايات (وصوم رمضان وحج البيت) بل في بعضها (وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت) عموماً ألفاظ الحديث عديدة وكلها تتفق على أن صوم رمضان مذكور من هذه الأمور الخمسة التي بُنِيَ عليها الإسلام، فهذا من الأدلة الواردة في سنة الرسول ﷺ على أن صوم رمضان ركن من أركان الإسلام .

فالصوم إذن هو عبادة وجزء من الصوم يكون ركن من أركان الإسلام وهو صوم شهر رمضان ونقل ابن قدامة وغيره من العلماء إجماع المسلمين على وجوب صيام شهر رمضان، غير واحد من العلماء، ابن المنذر وغير ابن المنذر من المتقدمين والمتأخرين نقلوا إجماع العلماء على وجوب صيام شهر رمضان وأن من أنكر وجوبه فهو كافر بإجماع المسلمين، من جحد وجوب شهر رمضان بعد علمه بالدليل، من كان عايش بين المسلمين وسمع الدليل خلاص يجب عليه أن يسلم، يؤمن وإلا كان كافراً .

ثم قال رحمه الله (وَيَجِبُ صِيَامُ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَالِغٍ عَاقِلٍ قَادِرٍ عَلَى الصَّوْمِ) : وهذا إن شاء الله تعالى يكون في بداية الدرس القادم ،، وهو غدا إن شاء الله تعالى

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد

والحمد لله رب العالمين

